

التاريخ البدائي

العالم الكامل

الدرس
الأول



خدمات الألفية
الثالثة

تعليمٌ كتابيٌّ. للعالم. مجاناً.

حقوق الطبع محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل أو وسيلة أو بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

الشواهد النصوص الكتابية في هذا الكتاب مأخوذة من ترجمة فاندايك - البستاني، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة ١٩٩٧، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرسة لتقديم تعليمًا كتابيًا. للعالم. مجاناً. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريبٍ مسيحيٍّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائل إعلامية متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونورّع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحتنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدَم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات:

I. المقدمة

II. النظرة العامة

أ. الوحي

١. المصادقية

٢. التصميم

ب. الخلفية

١. القصص المتاحة

٢. التفاعل

ج. القصد

III. البنية الأدبية

أ. عالم الظلام والفوضى

ب. العالم المثالي

ج. أيام تنظيم الخلق الستة

IV. المعنى الأصلي

أ. عالم الظلام والفوضى

ب. العالم المثالي

ج. أيام تنظيم الخلق الستة

١. الخروج من مصر

٢. امتلاك أرض كنعان

V. التطبيق العصرية

أ. التأسيس

ب. الاستمرار

ج. الاكتمال

VI. الخاتمة

التاريخ البدائي

الدرس الأول

العالم الكامل

المقدمة

قبل سنوات قليلة، كنت أقود سيارتي وفجأة شاهدت قطاراً قد خرج عن سكتة. ومعروف أنه عندما يخرج أي قطار عن طريقه الخاص، فإنه يتعطل ويسبب فوضى وأضراراً كثيرة. في البداية وضع الله طريقاً لخليقته حتى تتبعه، وهذا الطريق أدى إلى مصير عظيم ومجيد لهذه الخليقة. لكن مراراً وتكراراً، سقطت البشرية من الطريق الذي أعده الله لها مسبقاً. ولهذا قد سببنا خروج هذا العالم عن مساره، وكانت النتيجة حالة من الفوضى والأضرار البالغة.

في هذه السلسلة من الدروس، سنتعلم عن هذا الطريق الذي وضعه الله لخليقته في بداية تاريخ العالم والذي غالباً ما يسمى في الأوساط المسيحية "بقوانين الخلق". وسوف نقوم بدراسة الإصحاحات من ١-١١ من سفر التكوين التي تسمى عادة "التاريخ البدائي". وسندرس عن هذا الطريق المبهر الذي أراد الله لشعب إسرائيل أن يسلكوا فيه تحت قيادة موسى، وهو نفس الطريق الذي ينبغي أن نسلك به أيضاً اليوم .

وقد سمينا درسنا الأول "العالم الكامل" لأننا سنركز أفكارنا حول تكوين الإصحاح الأول عدد واحد إلى الإصحاح الثاني العدد الثالث. وهو النص الذي وصف فيه موسى أولاً كيف شكّل الله العالم ليصبح نظاماً كاملاً يسرُّ قلبه. كما سنرى أن هذا "العالم المثالي" كان صورة مسبقة للمصير الذي وضعه الله لشعب إسرائيل في أيام موسى. وهو نفس المصير الذي يريده الله لشعبه عبر التاريخ. وهذا لا يرينا فقط كيف كانت الأمور في البداية، بل يرينا أيضاً كيف ينبغي أن تكون حياتنا الآن، وكيف سيكون عالمنا في نهاية هذا الزمن. ينقسم هذا الدرس إلى أربعة أقسام. أولاً: سنقدم نظرة عامة عن بداية التاريخ في سفر (التكوين ١-١١). ثانياً: سوف نركز حول الآيات من سفر التكوين الإصحاح الأول عدد واحد إلى الإصحاح الثاني العدد الثالث آخذين في الاعتبار بناء النص الأدبي. ثالثاً: سوف نحلل المعنى الأصلي لهذا الجزء من سفر التكوين على ضوء بنائه. رابعاً: سوف نبحث في التطبيقات العصرية المناسبة لهذا النص. دعونا نبدأ بنظرة عامة شاملة لبداية التاريخ في سفر التكوين ١-١١.

النظرة العامة

قد يبدو أسلوب تناولنا لسفر التكوين ١ - ١١ من الوهلة الأولى وكأنه أسلوب غريب. لذلك، سوف نفسر خطتنا الأساسية على النحو التالي. هنالك ثلاثة أفكار على الأقل توجه دراستنا لهذا الجزء من الكتاب المقدس.

الأولى: وحي هذه الإصحاحات.

الثانية: الخلفية الأدبية لهذه الإصحاحات.

الثالثة: هدف كتابة هذه الإصحاحات.

الوحي

أولاً إننا نؤمن أشد الإيمان أن الكتاب المقدس كله هو موحى به من الله، بما في ذلك تكوين "١-١١". إن مفهومنا الإنجيلي بوحي الله يذكرنا بصفتين هامتين عن هذا الجزء من سفر التكوين. الأولى هي "صدق هذا الجزء"، والثانية هي "التصميم المقصود" لهذا الجزء.

المصادقية

نحن نؤكد تأكيداً قاطعاً أن هذا الجزء من الكتاب المقدس صادق تماماً لأنه موحى به من الله. فكثير من المسائل التاريخية تُثار في هذا الجزء من الكتاب وبعض هذه المسائل لم تحل حتى الآن. لكن بالنسبة لهدف درسنا سوف نكتفي بالقول إن الوحي يتضمن الصدق التاريخي لهذا الجزء. أراد النبي موسى من قُرَّائه الأصليين أن يقبلوا هذا الجزء من التكوين كحقيقة تاريخية. بالتأكيد علينا أن نفسر هذه النصوص وغيرها من الكتاب المقدس بعناية كبيرة حتى نفهم أبعادها التاريخية. علينا أن نتذكر في كل الأحوال أن سائر كتاب الوحي المقدس، حتى يسوع نفسه اعتبروا أن أحداث التكوين "١-١١" أنها صادقة. هذه الدروس ستبني على الإيمان بأن هذه الإصحاحات تسجل ما جرى فعلاً في هذه العصور القديمة.

التصميم

مع إيماننا بصدق هذا الجزء من سفر التكوين، يجب أن نتذكر أن الله في عملية الوحي أوحى نبيه موسى لاختيار ترتيب معين لمحتويات هذه الإصحاحات حسب تصميم مقصود. دعونا نفكر في الموضوع على هذا النحو فإن سفر التكوين "١-١١" يغطي كل تاريخ العالم منذ الخلق إلى أيام النبي إبراهيم، الذي عاش ما بين عامي ١٨٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م. كلنا نعلم أن موسى لم يذكر في هذه الإصحاحات القصيرة، إلا بعض الأحداث العالمية الكثيرة، التي وقعت أثناء هذه الفترة الزمنية الطويلة من الخلق إلى أيام إبراهيم.

لكي نفهم "التكوين ١-١١" يجب أن نأخذ في اعتبارنا هذه (الانتقائية) وكذلك الترتيب المتبع في هذه الإصحاحات. وعندما نلاحظ التصميم المقصود لسجل هذا التاريخ البدائي، سوف نستطيع الإجابة على بعض الأسئلة الهامة، مثل: لماذا أوحى الله موسى ان يسجل بهذه المعلومات القليلة؟ ولماذا جعل الله موسى، يرتب هذه المواد المنتقاة على هذا النحو؟

الخلفية

لكي نفهم الأسلوب الذي تبعه موسى، يجب أولاً أن ننظر إلى خلفية التقاليد الأدبية التي كانت موجودة في عصره. إن أدب الشرق الأدنى القديم مهماً جداً لأهدافنا لعدة أسباب. أولاً، لأنه كانت توجد قصص أخرى لبداية الخلق متاحة بسهولة لموسى، وثانياً لأن موسى تفاعل مع هذه القصص.

القصص المتاحة

لقد أثبت علم الآثار أن موسى لم يكن الشخص الأول الذي كتب عن أصل ونشأة العالم . ومن المؤكد أن الله أوحى موسى، ولهذا نعرف أن سرده حقيقياً. لكن قبل زمن موسى، كتبت شعوب كثيرة في الشرق الأدنى الأساطير والملاحم عن التاريخ البدائي. بعض هذه النصوص القديمة معروفة لنا اليوم، فكثير من الناس سمعوا عن قصة الخلق البابلية المعروفة باسم ENUMA ELISH وسمعوا أيضاً عن اللوحة الحادية عشرة لملاحمة جلجاميش التي تروي قصة الطوفان البابلية. ومجموعة أخرى متنوعة من قصص بدء الخلق كتبت في مصر وكنعان أيضاً. إن هذه الوثائق

وغيرها من أنحاء العالم القديم قد وصفت تأسيس الكون وتاريخه المبكر. ليس هذا فقط بل كثيراً من هذه الوثائق من الشرق الأدنى القديم كانت متاحة لموسى في حدثه. أن موسى تعلم في القصور الفرعونية في مصر، وتدل كتاباته على أنه كان مُلمّاً بأدب العالم القديم. فعندما كتب موسى بوحى من الله حقيقة بداية الخلق، كان على إدراك كامل بالتقاليد الأدبية الموجودة في الشرق الأدنى في وقته.

التفاعل

عرفنا فيما سبق أن القصص الأخرى والتي تكلمت عن بداية التاريخ كانت متاحة لموسى، نستطيع أن نسأل سؤال آخر: كيف تفاعل موسى مع هذه الأساطير والملاحم التي أنتجتها الحضارات الأخرى؟ سوف نرى من خلال هذه السلسلة من الدروس أن موسى قد تفاعل مع تراث الأمم الأخرى بشكل إيجابي وسلبى.

من ناحية، نرى أن موسى كتب تاريخه للأزمنة الأولى ليقاوم القصص الباطلة مع الحقيقة. يجب علينا أن نتذكر دائماً أن شعب بني إسرائيل كان متأثراً بالوثنية. فكان الشعب معرضاً لقبول الفكرة التي ادّعت أن العالم هو نتيجة الجهود والكفاح المستمر للعديد من الالهة. فنجد إما أن الشعب رفض الإيمان الحقيقي لأبائه الأولين، أو أنه خلط هذا الحق بالاعتقادات الدينية للأمم الأخرى. فكتب موسى قصته لفترة بداية التاريخ لكي يعلم شعب الله حقيقة ما حدث. فكان هدفه ترسيخ صدق "ديانة يهوه" ضد أكاذيب الأديان الأخرى.

وفي نفس الوقت، نجد أن موسى قد حقق هذا الهدف بتفاعله الإيجابي مع التراث الأدبي الذي كان سائداً في زمنه. فكتب بطريقة مشابهة لكتابات الشرق الأدنى القديمة حتى يُخبر عن حقيقة الله بأسلوب يفهمه شعب إسرائيل. بالرغم من أن هناك كثيراً من التشابهات بين قصة موسى والعديد من النصوص المهمة، إلا أن الأبحاث الحديثة في علم الآثار أشارت إلى تشابه مثير مع تراث أدبي معين.

في عام ١٩٦٩ نُشرت وثيقة مهمة تحت عنوان "Atrahasis": قصة الطوفان البابلية. وبالرغم من أننا لا نستطيع أن نؤكد الزمن الذي يعود إليه فكر هذه الوثيقة، إلا أنها هامة إذ تجمع في قصة واحدة أجزاء كانت معروفة قبل ذلك كوحدات منفصلة الواحدة عن الأخرى.

فملحمة **Atrahasis** مكونة من ثلاثة أجزاء أساسية فهي تبدأ بخلق الإنسانية ويلي ذلك تاريخ هذه الإنسانية المبكر بتركيز خاص على فساد العالم بسبب البشرية. وهذا الفساد صُحِّحَ بعقاب الطوفان وخلق نظام عالمي جديد.

عندما نقارن سفر التكوين بقصة **Atrahasis** نجد تدعيماً قوياً للاعتقاد بأن موسى شكّل سفره **كوحدة** ذات بناء أدبي مقصود. فلوهلة الأولى تظهر الإصحاحات "١-١١" من سفر التكوين وكأنها مجموعة من النصوص التي تتحرك من موضوع إلى موضوع آخر دون استمرارية. لكن عندما نلاحظ التوازي الأدبي العام بين هذا الجزء الكتابي وقصة **Atrahasis** سنرى أن تاريخ البداية لموسى هو وحدة متماسكة ذات بناء معين. فالإصحاحات "١- ١١" من سفر التكوين تنقسم إلى ثلاثة أجزاء: الأول هو **الخلق المثالي** (تكوين ١ : ١ - ٢ : ٣)، والثاني **فساد العالم** بسبب خطية البشر (تكوين ٢ : ٤ - ٦ : ٨)، وأخيراً **الطوفان والنظام الجديد** (تكوين ٦ : ٩ - ١١ : ٩).

القصص

ونحن الآن بصدد السؤال الثالث: وهو لماذا كتب موسى تكوين "١ - ١١" وما الذي كان يريد أن يوصله لقرائه من بني إسرائيل؟
أولاً، إنه من المؤكد أن موسى أراد أن يُعلم شعبه **الحقيقة عن الماضي**. فقد أراد أن يعرفوا ماذا فعل إلههم في السنوات الأولى من تاريخ العالم. فمثلما كانت أساطير الأمم الأخرى تهدف لإقناع الشعب بوجهة نظر هذه الأساطير، كذلك أراد موسى أن يقنع بني إسرائيل بالحقائق التاريخية لإيمانهم. لكن بالفحص الدقيق سوف نرى هدفاً إضافياً خلف السجل الذي دونه موسى عن بداية التاريخ. فقد كتب أيضاً لكي يؤثر في شعب إسرائيل كي **يسلكوا حسب مشيئة الله**. إلا أن هذا الغرض لا يظهر بسهولة لكل من يقرأ تكوين ١-١١. لكنه يتضح بمجرد أن ندرك أن جميع قصص التاريخ البدائي الأخرى لها نفس الهدف.

قبل أن نفهم الهدف من قصص التاريخ البدائي يجب أن نفهم أن حضارات الشرق الأدنى القديمة كانت تؤمن بأن الكون منظم حسب حكمة كونية فوق طبيعية يسير بمقتضاها في حالته المثالية. والمسؤولية كانت على كل شخص في المجتمع، من الإمبراطور إلى العبد، أن يسلك بقدر المستطاع حسب هذا النظام الإلهي.

ولكن ما هي العلاقة بين هذا الأمر وأساطير وملاحم الشرق الأدنى القديم عن بداية التاريخ؟ فالحضارات التي كانت محيطة بإسرائيل في ذلك الوقت سجلت قصصاً عن بداية التاريخ لكي تشرح الأنظمة التي أنشأتها "الالهة" في العالم في العصور القديمة. فهدف القصص عن بداية التاريخ لم يقتصر على شرح ما حدث في التاريخ البدائي، لكنه يشمل أيضاً تبريراً للأنظمة الدينية والاجتماعية السائدة.

وكتب هذه النصوص الذين كانوا غالباً من الكهنة قد أشاروا إلى الطرق التي رتبت بها "الالهة" العالم من البداية ليظهروا بذلك كيف ينبغي أن تكون الأمور في أيامهم. وأحياناً كان يركزون خاصة على المسائل الدينية مثل المعابد والكهنة والطقوس. مثلاً: أيّ المعابد كانت مفضلة لدى الالهة وأيّ أسرة كهنوتية كانت تخدم في هذه المعابد؟ وفي أوقات أخرى، كانوا يركزون على الأنظمة الاجتماعية المختلفة مثل القوة السياسية والقوانين. "من سيكون الملك؟" ولماذا كان بعض الناس عبيداً؟

فكانت هذه القصص صالحة للتصديق على النظام الديني والاجتماعي المعاصر بالرجوع إلى الأسس التي عيّنها الالهة في البداية. وكانت أساطيرهم تدعوهم للخضوع لقوانين الخليقة التي وضعتها "الالهة". سنرى في هذه الدروس أن موسى كتب إصحاحات "١-١١" من سفر التكوين لأسباب مماثلة. فمن ناحية، كتب موسى تاريخ بداية الخلق موضعاً بدقة خلق يهوه وتنظيمه العالم في بداية الزمن. فهذه الإصحاحات تعلم حقيقة ما حدث من وقت الخلق إلى زمن برج بابل.

لكنه لم يفعل هذا لأسباب تاريخية فقط. ففي إخراجهم لشعب إسرائيل من مصر إلى الأرض الموعودة، كان يواجه النبي موسى معارضين يدّعون أنه خدع بني إسرائيل. وفي الرد على هؤلاء المعارضين أظهر تاريخ بداية الخلق أن أفعال موسى كانت وفقاً لقد الله للكون. فمقاومة قيادة موسى كانت بمثابة مقاومة لأحكام الله.

في سجله للخليقة المثالية في (تكوين ١ : ١-٢ : ٣) أظهر موسى أن الشعب في توجهه إلى أرض كنعان كان يتحرك في اتجاه تحقيق المثل الالهية. وفي تسجيله لفساد العالم في (٢ : ٤-٦ : ٨)، أظهر أن مصر كانت أرض الفساد والعناء الذي نتج عن لعنة الله للخطية. وأخيراً في تسجيله لموضوع الطوفان وخلق العالم الجديد في (تكوين ٦ : ٩-١١ : ٩)، أظهر موسى أنه قاد الشعب إلى نظام جديد وبركات كثيرة، مثلما فعل نوح بعد الطوفان. وهذه الحقائق لبداية التاريخ هي عملية تبرير كامل لرؤية موسى لمستقبل شعب إسرائيل. لو أنه استطاع إقناع شعب إسرائيل بهذه الحقائق لنسي المؤمنون منهم حياتهم في مصر، ورضوا باتخاذ أرض كنعان كميراث معطى لهم من الله.

الآن وقد قدمنا أسلوبنا العام في تناول بداية التاريخ المدون في (تكوين ١-١١) نستطيع أن نتطرق إلى التفاصيل التي يحتويها والتي تصور لنا عالم الله المثالي في (تكوين ١: ١-٢: ٣).

البنية الأدبية

الآن وقد قدمنا أسلوبنا العام في تناول بداية التاريخ المدون في تكوين "١-١١"، نستطيع أن نتطرق إلى التفاصيل التي يحتويها والتي تصور لنا عالم الله المثالي في (تكوين ١: ١-٢: ٣). عندما يفكر أغلب المؤمنين الانجليين في الإصحاح الأول من كتابهم المقدس، غالباً ما يتذكرون الأمور الجدلية التي تحيط بتفسيره، مثل: هل خلق الله العالم في ستة أيام بمفهوم اليوم العادي؟ وهل تعتبر الأيام المذكورة في هذا الإصحاح عصوراً زمنية طويلة؟ أو هل نرى في تكوين ١ قصيدة غير تاريخية تُشيد بعمل الله في الخلق؟ إن كل هذه الآراء موجودة بين المؤمنين الانجليين.

وبالرغم من أنني مقتنع بأن الله خلق العالم كما نعرفه في ستة أيام عادية، أعلم أن هذا الرأي لا يماثل رأي كل المؤمنين الانجليين. لكن في تناولنا لهذه الإصحاحات في دروسنا لن نهتم أساساً بهذه المسائل التاريخية على قدر اهتمامنا بالمسائل الأدبية. فإننا مهتمون بكيفية وأسباب كتابة هذا الإصحاح ولذلك نسال ما هو البناء الأدبي للنص وكيف يساعدنا على فهم غرض موسى؟

يجب ان نلاحظ إن النص ينقسم إلى ثلاثة أجزاء رئيسية: مقدمة، وجسم الموضوع، وخاتمة. نجد في بداية قصة الخلق مقدمة تشمل أول آيتين من الإصحاح الأول والتي نستطيع أن نلخص معناها تحت عنوان "عالم الظلام والفوضى"، وفي الأعداد (٣-٣١) من الإصحاح الأول نرى جسم القصة والذي يسمى "بأيام الخلق الستة"، أو ما نسميه نحن "الأيام الستة لتنظيم الخلق". وأخيراً في (٢: ١-٣) نجد الخاتمة التي تتحدث عن اليوم السابع أو السبت أو كما سنسميه نحن "العالم المثالي".

في هذا الدرس سنبحث كل الأجزاء الثلاثة في النص، بدءاً بالمقدمة "عالم الظلام والفوضى" ثم الخاتمة "العالم المثالي"، وأخيراً سنناقش جسم النص، أي "الأيام الستة لتنظيم الخليقة". سنبدأ أولاً بشرح (١: ١-٢) عن عالم الظلام والفوضى.

عالم الفوضى والظلام

في افتتاحية تكوين ١ نرى مقابلة هامة ومثيرة بين الفوضى التي تغطي الأرض وروح الله. في هذه المقدمة للإصحاح نرى عنواناً في الآية الأولى، وفي الآية الثانية نجد وصفاً كاملاً لحالة العالم الأولية. دعونا نستمع إلى كلمات الوحي التي كتبها موسى في (تكوين ١: ١-٢): "وَكَاثَتْ الْأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْعَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللَّهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ".

هذه الآية توضح المواجهة المثيرة التي تمتد عبر الإصحاح كله. فمن ناحية نرى أن الأرض الأولى "خربة وخالية"، أو كما نجد معناها في اللغة العبرية "توهو وبوهو". ولأن هذا التعبير العبري لا يرد كثيراً في الكتاب المقدس فإننا لا نعلم معناه بدقة. إلا أن عدداً كبيراً من العلماء يظنون أنه يعني أن العالم في هذه المرحلة كان غير مهياً للحياة الإنسانية بل معادياً لها، مثل الصحراء الجرداء. ففي مقدمة الإصحاح نرى أن غمراً عميقاً ومظلماً كان يغطي الأرض في بداية التاريخ وجعلها غير صالحة لحياة الإنسان.

من ناحية أخرى نرى في (تكوين ١: ٢) الجانب الآخر من المواجهة المثيرة في الكلمات "وَرُوحُ اللَّهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ". والكلمة العبرية المترجمة "يرف" هي "ميراحيفيت" التي تعني التحليق فوق شيء. ولذلك نرى هنا صورة مثيرة في بداية هذا النص. فمن جهة نرى فوضى على الأرض ومن الجهة الأخرى، نرى روح الله وهو يرف فوق هذه الفوضى. وكأن المقصود هو أن الله على وشك أن يتدخل لعلاج حالة الفوضى التي غطت الأرض. إزاء هذه المواجهة المثيرة نتساءل ما الذي سيفعله روح الله؟ وماذا سيحدث لهذه الفوضى؟ والآن نستطيع أن نرى نتيجة المواجهة في الجزء الأخير من قصة الخلق الموجود في (٢: ١-٣) وهو "العالم المثالي".

العالم المثالي

وتقسيم هذا الجزء بسيط جداً، ففي تكوين ٢: ١ نجد جملة تلخص اكتمال عمل الله في الخلق، وفي تكوين ٢: ٢-٣ تَحْتَمُّ بِاسْتِرَاحَةِ اللَّهِ. نقرأ في تكوين ٢: ٢، ٣:

وَفَرَّغَ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. وَبَارَكَ اللَّهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ.

عندما سجل موسى أن الله استراح في اليوم السابع مُباركاً هذا اليوم ومقدساً إياه، قصد أن يعلمنا أن المواجهة بين الفوضى وروح الله الذي حلق فوقها قد انتهت. فقد اخضع الله الظلمة وحكم الغمر العميق وسرّاً في عالمه المثالي المنظم. فتنتهي قصة الخلق بهذه الصورة الممتعة للكون وهو في حالة سلام وانسجام. والآن بعدما رأينا بداية قصة الخلق ونهايتها، علينا أن نتأمل في الجزء الأوسط من النص الذي يشرح كيفية انتهاء المواجهة بين عالم الفوضى وروح الله الذي كان يخلق فوقها.

أيام تنظيم الخلق الستة

من تكوين ١: ٣-٣١ نتعلم أن الله قيّد الفوضى بتنظيم العالم وفقاً لخطة الستة الأيام العجيبة. والتركيز الرئيسي في هذا الجزء يتضح في العبارة المكررة "وَقَالَ اللَّهُ" والتي تتقدم كل أفعال الله في الخلق. وبهذا نرى أن الله هو المحرك الأساسي وأن كلمته القوية هي العنصر المركزي لهذه الآيات. إن الله بكلمته الفاصلة ادخل نظاماً رائعاً للعالم. أن اله الكتاب المقدس في خلقه للعالم لم يواجه المقاومات مثل ما نرى في أساطير الحضارات الأخرى. فإنه **تكلم فقط** وبذلك نظم العالم. في هذه الكلمة نرى حكمته القوية إذ وضع الله العالم في أفضل صورة.

فهم كثير من المفسرين أن أيام تنظيم الله للخلق تنقسم إلى مجموعتين كل منهما ثلاثة أيام. وتوجد علاقات كثيرة بين هاتين المجموعتين والتي توصف بطرق عديدة. إحدى الطرق للتعرف على هذه العلاقات مبني على وصف الأرض الموجود في تكوين ١: ٢. نتذكر أن في هذه الآية كتب عن الأرض أنها خربة وخالية (توهو وبوهو)، فمن خلال هاتين الكلمتين نستطيع أن نفهم معنى المجموعتين السابقتين.

فمن ناحية، أثناء الأيام الثلاثة الأولى عالج الله مشكلة خراب الأرض بمعنى أنه شكل الخليقة بفصل الأماكن بعضها عن بعض معطياً لكل ملكيته الخاصة. ومن ناحية أخرى، وفي أثناء الأيام الثلاثة الأخيرة عالج الله مشكلة خلاء الأرض بخلق مخلوقات تتناسب كل من الملكيات التي أوجدها. دعونا أولاً نفكر في الأيام الثلاثة الأولى.

في اليوم الأول فصل الله بين النهار والليل إذ أشرق بنور في العالم المظلم الفوضوي حتى قبل وجود الشمس. وفي اليوم الثاني فصل الله المياه التي على الأرض من المياه فوق الأرض بواسطة الجلد، أي الغلاف الجوي الذي يفصل بين البحار والأنهار على الأرض، وبين الرطوبة

والمياه المكثفة الموجودة في السحب. وفي اليوم الثالث فصل الله اليابسة عن البحار فتجمعت المحيطات في أماكنها وظهرت اليابسة وبدأت جميع النباتات تنمو بمختلف أنواعها. هكذا شكل الله في الأيام الثلاثة الأولى العالم الذي كان غير مشكل أو خرب. فأقام النهار والليل ووضع الجلد بين المياه وجعل اليابسة تظهر.

وحسب ما سجله النبي موسى بالوحي نرى أن الله ملأ خلاء الأرض في الأيام الثلاثة الأخيرة بوضع خلائق تسكن كل منها الملكيات التي أعدت مسبقاً في الأيام الثلاثة الأولى. ففي اليوم الرابع وضع الله الشمس والقمر والنجوم في السماوات ليملاً النهار والليل اللذين خلقا في اليوم الأول. هذه الأجسام السماوية وُضِعَت لتحكم النهار والليل ولتفصلهما الواحد عن الآخر. أما في اليوم الخامس فقد وضع الطيور في الهواء والمخلوقات البحرية في مياه المحيطات. فهذه الخلائق ملأت المياه فوق الأرض والمياه التي على الأرض اللتان خلقهما في اليوم الثاني كل حسب بيئته. أخيراً، في اليوم السادس وضع الله الحيوانات والبشر على اليابسة التي فصلها عن المياه في اليوم الثالث. لذلك نرى أن الله نظم العالم الذي كان فوضوياً ومظلاماً من خلال فصل المجالات المختلفة عن بعض، وملأها بالمخلوقات المناسبة لها. وكان عمله عجبياً جداً حتى قال الله ست مرات "أَنَّهُ حَسَنٌ" (١: ٤، ١٠، ١٢، ١٨، ٢١، ٢٥)، وبعد خلقه للإنسان قال إنه "حَسَنٌ جِداً". فمن الواضح أن الله كان مسروراً جداً بأعماله العجيبة.

لذلك نرى أن لسفر التكوين ١: ١-٢: ٣ بناءً معقداً مركباً. فيبدأ النص بالعالم في حالة من الفوضى والله على وشك أن يتدخل. وفي أثناء الأيام الستة نظم الله هذا العالم الفوضوي بكلمته. ولذلك في اليوم السابع سُرَّ بهذا النظام المثالي الذي أوجده واستراح. الآن وبعد تأملنا في البناء العام للجزء "١: ١ - ٢: ٣" نستطيع أن نرى كيف يتضح معنى النص الأصلي.

المعنى الأصلي

الآن وبعد تأملنا في البناء العام للجزء ١: ١-٢: ٣ نستطيع أن نرى كيف يتضح معنى النص الأصلي. سبق ورأينا أن هدف تاريخ بدء العالم حسب موسى هو تبرير لخروج بني إسرائيل من مصر، واخضاع أرض كنعان؛ على اعتبار أنه وفق النظام الذي أسسه الله في بداية التاريخ. ولكن كيف تحقق هذا الهدف من خلال النص ١: ١-٢: ٣ بالذات؟ وكيف ربط موسى خدمته لشعب إسرائيل بقصة الخلق؟

سوف نرى كيف تحقق هذا الهدف وذلك من خلال نظرة أخرى للأجزاء الثلاثة للنص من تكوين ١ : ١- ٢ : ٣. أولاً سنتطرق إلى عالم الفوضى والظلام، ثم نذهب للقسم الأخير عن العالم المثالي المنظم. وأخيراً سنعود للجزء الأوسط من النص الذي نرى فيه تنظيم الله للعالم. دعونا نفكر أولاً في تكوين ١ : ١- ٢ إلى عالم الفوضى والظلام.

عالم الظلام والفوضى

إن أهم صفة في الآيتين الأوليتين والتي تهمننا الآن هي المواجهة المثيرة في عدد ٢. الأسلوب الذي استخدمه موسى في وصف المواجهة المثيرة بين عالم الفوضى والروح القدس، يبين أنه لم يكتب عن الخليقة فحسب بل كتب عن خروج إسرائيل أيضاً. ونذكر أن الوحي وصف الأرض بأنها "خربة" (توهو) في عدد ٢، وأن روح الله كان "يرف" وبالعبري (ميراحيفيت). إن أهمية هذا المشهد تتضح عندما نقارنه بنص آخر يُلمح فيه موسى للصورة الموجودة في تكوين ١ : ٢ ففي (تثنية ٣٢ : ١٠-١٢) استخدم موسى مصطلحات (تكوين ١ : ٢) ليلفت انتباهنا للربط بين الخروج وقصة الخلق. دعونا نستمع لما قاله في هذه الآيات:

وَجَدَهُ فِي أَرْضٍ قَفْرٍ، وَفِي خَلَاءٍ مُسْتَوْحِشٍ خَرِبٍ. أَحَاطَ بِهِ وَلَاحِظُهُ وَصَانَهُ كَحَدَقَةٍ عَيْنِهِ. كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عُشَّهُ وَعَلَى فِرَاحِهِ يَرِفُّ، وَيَبْسُطُ جَنَاحَيْهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنَاجِبِهِ، هَكَذَا الرَّبُّ وَحْدَهُ اقْتَادَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ أُجْنَبِيٌّ.

هذه الآيات هامة لأنها المكان الآخر والوحيد الذي يستخدم فيه موسى مصطلح "خرب" و"يرف" في كل أسفاره. كلمة "خلاء" في (تثنية ٣٢ : ١٠) هي نفس الكلمة العبرية "توهو" التي وردت في تكوين ١ : ٢ وتُرجمت "خربة". أيضاً كلمة "يرف" في (تثنية ٣٢ : ١١) هي نفس المصطلح المستخدم في تكوين ١ : ٢ عن روح الله الذي كان "يرف" على الغمر. وضع موسى هذين المصطلحين معاً في تثنية ٣٢ ليربط بصلاية هذا النص بتكوين ١ : ٢ ولكن كيف؟ ما معنى كلمة "خلاء" و"يرف" في تثنية ٣٢؟

أولاً استخدم موسى كلمة "خلاء" كإشارة لمصر. في تثنية ٣٢ : ١٠ نقرأ هذه الكلمات "وَجَدَهُ فِي أَرْضٍ قَفْرٍ، وَفِي خَلَاءٍ مُسْتَوْحِشٍ خَرِبٍ". ثانياً استخدم موسى كلمة "يرف" كإشارة لحضور الله مع

شعب إسرائيل ممثلاً في عمود الدخان والنار الذي كان يقودهم نحو أرض الموعد، وفي **تثنية ٣٢: ١٠-١١** نقرأ هذه الكلمات:

... وَصَانَهُ كَحَدَقَةٍ عَيْنِهِ. كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عُشَّهُ وَعَلَى فِرَاحِهِ يَرِفُ.

يمكننا أن نعتبر **تثنية ٣٢: ١٠-١٢** تعليق موسى على كلامه في تكوين ١: ٢ لأنها توضح لنا قصده في كتابه الإصحاح الأول من التكوين. ومن خلال **تثنية ٣٢** نفهم أن موسى رأى **تشابهاً** بين قصة **الخلق** و**خروج** بني إسرائيل من مصر. فكتب أن الحالتين قد تمّتا في عالم فوضوي غير مُهيأ للحياة وأن الله كان يرف فوق عالم الفوضى الأول مثلما فعل لشعبه عندما خلصهم من مصر.

بسبب هذا التوازي بين **الخلق** و**الخروج**، نستطيع أن نفهم أن موسى عندما تكلم عن عالم الفوضى والظلام لم يقصد أن يتكلم عن الخلق فحسب بل أراد أن يقدم **عمل الله في الخلق كنموذج** أو مثال لما كان يصنعه الله لشعب إسرائيل في أيامه. فكان هدف موسى في قصة الخلق أن يُطمئن قراءه أنهم لم يخطئوا في تبعيتهم له عندما خرجوا من مصر. على العكس تماماً، فإن قصة الخلق أثبتت أن الله خلّصهم من الفوضى التي عاشوها في مصر، وكان هذا عملاً إلهياً قوياً فيه أعاد الله تنظيم العالم مثلما فعل في بداية التاريخ. وكان الرب يرف على شعبه كما فعل من قبل على الخليقة في البداية. فالخروج من مصر لم يكن خطأً بل كان عملاً إلهياً هدفه إعادة تنظيم العالم. نستطيع أن نقول إن **الخلاص من مصر إنما هو إعادة الخلق**. نرى في (تكوين ٢: ١-٣) الذي يتكلم عن العالم المثالي المنظم، تأكيداً للتوازي المذكور بين بداية تكوين ١ وخروج شعب الله من مصر.

العالم المثالي

نحن نتذكر أن قصة الخلق انتهت باستراحة الله. فالكلمة العبرية المترجمة "استراحة" أو "سبت" في (٢: ٢، ٣) فيها ارتباطاً آخر بين قصة الخلق وقصة الخروج. استخدم موسى وشعب إسرائيل الكلمة العبرية "شباط" حتى يشيروا لحفظ يوم السبت، الذي كانوا يحتفلون به وفقاً لشريعة موسى. في الواقع، نجد أن حفظ يوم السبت - أحد الوصايا العشر المذكورة في (خروج ٢٠: ٨-١١) مبني على عمل الله المذكور في تكوين ٢:

أَدْكُرُ يَوْمَ السَّبْتِ لِتَقْدِسِهِ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ

فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِيهَكَ. لَا تَصْنَعُ عَمَلًا مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمْتُكَ وَبَهِيمَتُكَ
وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ. لِأَنَّ فِي سِنَةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْبَحْرَ
وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذَلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ.

عندما سمع شعب إسرائيل أن الله استراح في اليوم السابع، فمن المؤكد أنهم أدركوا الربط بين هذا الحدث وحفظهم للسبت والوصايا العشر. بالرغم من أن بني إسرائيل حفظوا السبت إلى حد ما في البرية إلا أنه من المهم أن ندرك أن حفظ يوم السبت وممارسة العبادة فيه لم يتحقق كاملاً إلا في أرض الموعد. فكان عليهم أن يحفظوا يوم السبت الأسبوعي كما نرى في خروج ٢٠: ٨-١١ بالإضافة إلى سبوت أو أعياد أخرى. فعلى سبيل المثال كان عليهم أن يحتفلوا بالسنة السابعة كسنة سبتية تنترك فيها الأرض بلا زراعة وكل خمسين عاماً يحتفلون بسنة اليوبيل العظيم التي تلغى فيه كل الديون ويعود الجميع إلى ميراثهم الأصلي من الأرض. فنرى في شريعة موسى أن عبادة الله المتعلقة بالسبت كانت أمراً أكبر من حفظهم للسبت أثناء فترة الأربعين عاماً في البرية. ولأنه كان من الضروري أن يسكن الشعب أرض الموعد لكي يحفظ السبت بصورة كاملة، لذلك سُميت تلك الأرض بأرض الراحة أو بالعبرية "منوحة" أو مكان راحة؛ وهي مصطلحات مرتبطة بكلمة "شباط". ففي عدة أماكن في العهد القديم نرى أن أرض الموعد هي أرض راحة شعب إسرائيل التي فيها يستطيع أخيراً أن يتعبد حسب مطالب شريعة موسى. فعلى سبيل المثال نقرأ في تثنية ١٢: ١٠-١١ هذه الكلمات:

فَمَتَى عَبَرْتُمْ الْأَرْضَ وَسَكَنْتُمْ الْأَرْضَ الَّتِي يَفْسِمُهَا لَكُمْ الرَّبُّ إِيهَكُمْ، وَأَرَاخَكُمْ مِنْ
جَمِيعِ أَعْدَائِكُمُ الَّذِينَ حَوْلَيْكُمْ وَسَكَنْتُمْ آمِنِينَ، فَالْمَكَانُ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِيهَكُمْ
لِيُحِلَّ اسْمَهُ فِيهِ، تَحْمِلُونَ إِلَيْهِ كُلَّ مَا أَنَا أُوصِيكُمْ بِهِ: مُحْرَقَاتِكُمْ وَذَبَائِحِكُمْ
وَعَشُورِكُمْ وَرَفَائِعَ أَيْدِيكُمْ وَكُلَّ خِيَارِ نُدُورِكُمُ الَّتِي تَنْدُرُونَهَا لِلرَّبِّ.

فمن الواضح في هذه الآيات، أن الحفظ الكامل ليوم السبت وعبادته لم يتم إلا بمجرد دخول شعب إسرائيل أرض الراحة. فيوم السبت بالنسبة لموسى، لم يكن مجرد يوم للعبادة الشخصية أو العائلية بل كان يحتل مكاناً مركزياً في حياة وعبادة شعب الله في أرض الراحة، وبالذات في المكان الذي اختاره الله ليحل اسمه فيه. ونرى في هذه الحقيقة السبب الذي جعل الله يصف الذين مُنعوا من دخول أرض كنعان هكذا :

فَأَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي: «لَا يَدْخُلُونَ رَاحَتِي» (مزمور ٩٥: ١١).

بسبب الارتباط الوثيق بين السبت وعبادة الشعب للرب في أرض الموعد، ختم موسى قصة الخلق باستراحة الله. كأنه يقول لهم إن الله يقودكم من الفوضى في مصر إلى الراحة في أرض الموعد كما قاد الأرض من الفوضى إلى راحة اليوم السابع. كذلك كان موسى يقود إسرائيل إلى مكان الراحة، أرض كنعان. ولذلك من قاوموا خطة موسى للخروج، كانوا يقاومون إرادة الله في إدخال شعبه في النظام المثالي الذي أراده الله للكون في البداية. فلم تكن عملية خروجهم من مصر ودخولهم أرض الموعد إلا عودة لخطة الله الكاملة للخليقة.

لقد لاحظنا العلاقة بين الفوضى الأولية والراحة النهائية في قصة الخلق، وبين حقيقة عمل الله لشعبه من خلال موسى. والآن دعونا نتأمل في الجزء الأوسط من الإصحاح الأول في سفر التكوين (الآيات ٣-٣١) التي تتكلم عن أيام تنظيم الخليقة، ونسال أنفسنا ما علاقة هذه الأيام بخدمة موسى؟

أيام تنظيم الخلق الستة

في الواقع توجد عدة روابط بين أيام الخلق وخروج الشعب، لكننا سنذكر اثنين منهم: أولاً، تلك التي تخص تحريرهم من مصر. وثانياً، الرابط التي يخص بامتلاك أرض الموعد.

الخروج من مصر

نرى أولاً أن الله في تحرير شعبه من مصر أظهر نفس القوة التي أظهرها في تنظيم الخليقة حسب تكوين ١. ففي الضربات الموجهة للمصريين كان الله يعمل بطريقة معاكسة للطريقة التي استخدمها في الخلق. فعلى سبيل المثال، في تحويل الله مياه مصر إلى دم، الأمر الذي سبب موت جميع الأسماك، نلاحظ عكس ما فعله في الخلق عندما جعل المياه تفيض بالكائنات البحرية. وبدلاً من أن تملك البشرية الكائنات الحية كما أمره الله في البداية، نرى أن الضفادع والبعوض والذباب والجراد هي التي حكمت المصريين. حتى الفصل بين النور والظلام في الخلق قد اضمحل حينما أظلمت أرض مصر في النهار. وبدلاً من أن الأرض تتبت عشباً، براد، نار، وجراد خربوا حصاد مصر. وبدلاً من الإثمار والتكاثر، عم الدمار والموت على المصريين وعلى حيواناتهم. فبهذه

الطرق وغيرها من اللغات التي تعرضت لها مصر انعكس النظام الذي أسسه الله في الأيام الستة المذكورة للخلق في تكوين ١. ففي الضربات كانت مصر وكأنها تعود إلى الفوضى الأولى. إذن لا عجب أن موسى دعى شعبه أن يتركها مسمىاً إياها خلاءً مستوحشاً خراباً.

كان على أي شخص من الشعب اعتقد أن الحياة في مصر كانت طيبة، أن يُصغي لقصة الخلق التي دونها موسى. الا أن اختبارهم في مصر كان عكس مفهوم المصريين أنفسهم لأرضهم. فكان المصريون يعتقدون أن الالهة قد باركت أرضهم، ويبدو أن بعض الأفراد من شعب إسرائيل اعتقد هذا أيضاً. ولكن أوضح موسى أن مصر صارت عكس نظام الله المثالي للعالم.

بالإضافة للمقابلة السلبية بين مصر والعالم المثالي، نجد بين قصة أيام الخلق الستة وقصة الخروج من مصر توازياً إيجابياً. ففي حين رأى المصريون أرضهم وهي تعود للفوضى الأولى، رأى شعب الله أن إلههم ينظم العالم لصالحهم بطرق شبيهه بما حدث في أيام الخلق الستة.

١. إبقاء عذوبة مياههم كمصدر للحياة.
٢. دم تعرضهم للضفادع والجراد.
٣. تمتعهم بالنور في حين عان المصريون من الظلام.
٤. استمرار حقولهم في الإنتاج.
٥. حفظ حيواناتهم من الضربات.
٦. وبالتالي تكاثر شعب الله أثناء وجوده في مصر.

واعظم من كل هذا، أمسك الله البحر وظهرت اليابسة أمام شعبه مثلما حدث في اليوم الثالث للخلق الأمر الذي يؤكد سيادته المدهشة على الخليفة. فالعجائب الطبيعية التي صنعها الله لشعبه لم تكن غير مسبوقه، لأنها ترجع بنا للطرق التي بها نظم الله العالم في الأيام المذكورة في تكوين ١. هذه التشابهات بين عمل الله في تنظيم الأرض في تكوين ١ وإنقاذه لشعبه من مصر، أوضحت لقراء النبي موسى أن عمل الله من أجلهم مثل عمله في الخلق. ففي خروجهم من مصر أعاد الله تشكيل العالم كما فعل في البدء. إن التشابه بين عملية الخلق وخلص الشعب من مصر، يتوقع أيضاً توافقاً بين النظام الذي أسسه الله في البدء وحياة الشعب في أرض كنعان.

امتلاك أرض كنعان

ففي دخولهم الي أرض الموعد سيتمتعون بطبيعة منظمة ومثمرة ومفرحة. لذلك دعى الله أرض كنعان أرضاً تقيض لبناً وعسلاً. بالإضافة إلى ذلك، سيتمتع شعب الله في الأرض بالامتيازات

التي وهبها الله للإنسان في اليوم السادس عندما خلقه على صورته. لاحظ بالذات أن في تكوين ١ : ٢٨ قال الله للإنسان:

وَبَارَكَهُمُ اللَّهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَنْمُرُوا وَآكُثُرُوا وَامْلَأُوا الْأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ».

بالرغم من أن شعب إسرائيل تمتع ببعض هذه البركات في مصر، إلا أن الله أعطاه هذه المكانة المشرفة بطريقة أوسع في أرض كنعان. فكان الشعب في طريقه لتحقيق هذه المهمة المثالية في الخليقة تحت قيادة موسى. دعونا نسمع ما وعده الله في (لاويين ٢٦ : ٩) للأمناء من شعبه الساكن في الأرض:

وَأَلْفَيْتُ إِيكُمْ وَأَنْمُرِكُمْ وَأَكْثِرْكُمْ وَأَفِي مِيثَاقِي مَعَكُمْ.

نجد في هذه الكلمات تلميحاً واضحاً لما ورد في تكوين ١ : ٢٨ عندما قال الله للإنسان: "أَنْمُرُوا وَآكُثُرُوا". والآن يقول لهم في لاويين إنه سيثمرهم ويكثرهم في الأرض. وبالتالي ستكون أرض كنعان مثل العالم العجيب الذي نظمه الله في البداية، ومكان الانسجام الطبيعي، حيث يحقق الإنسان، الذي هو صورة الله، دوره الأصلي في الأرض.

لقد ذكرنا قليلاً من التشابهات بين أيام الخلق الستة وحياة شعب الله في أيام موسى. ولكن من هذه الجزئية، نرى أن تعليم موسى عن الكيفية التي نظم بها الله الكون في الأيام الستة الأولى، لم يُشر إلى ما حدث في البداية فقط، بل كان هدفه أن يساعد شعبه أن يستوعب ما الذي كان يحدث في حياتهم. فكما قاد الله الكون من الفوضى إلى الراحة من خلال تنظيم الطبيعة بطرق معينة، هكذا كان يقود شعبه من الفوضى في مصر إلى راحة السبت في كنعان من خلال إعادة تنظيم العالم لصالحهم.

تُرى ماذا كان رد فعل الشعب عندما استمع لموسى وهو يعلمهم عن خلق العالم؟ من المستطیع أنهم أدركوا أن ما حدث لهم لم يحدث عن طريق المصادفة. ففي افتدائهم من مصر وإدخالهم إلى كنعان، كان الله يعمل في العالم كما في البدء، ليحقق نظاماً مثالياً في الكون. فكان خلاص إسرائيل بمثابة إعادة للخليقة وكان عليهم أن يتبعوا موسى لكي يختبروا هذه العملية أكثر فأكثر.

والآن وبعد دراسة المعنى الأصلي لتكوين ١ : ١ - ٢ : ٣ ننقل لموضوعنا الأخير وهو: التطبيقات العصرية لقصة الخلق. في تناولنا لهذا الموضوع سنتتبع بدقة الطرق التي شرح بها العهد الجديد هذا النص.

التطبيق العصري

إن كُتَّاب العهد الجديد أكدوا مصداقية قصة موسى عن الخلق، ورأوا فيها عمل الله في بداية التاريخ. لكنهم استوعبوا قصة موسى كما شرحناها سابقاً في هذا الدرس، بالإضافة إلى توسعهم في أبعاد جديدة .

كما علم موسى أن الخلق كان نموذجاً مسبقاً لفداء إسرائيل من مصر، هكذا يُعلم العهد الجديد أن تكوين ١ : ١ - ٢ : ٣ نموذج مسبق لفداء أعظم بكثير يتمثل في الخلاص الذي تم في المسيح. فيعلم العهد الجديد أن كل اختبارات الخلاص والدينونة التي مرّ بها الشعب في أيام العهد القديم، كانت صورة مسبقة لليوم النهائي العظيم الذي فيه يحقق الله الخلاص والدينونة في ابنه يسوع المسيح. بهذا المفهوم تعامل كُتَّاب العهد الجديد مع قصة الخلق بتركيز خاص على المسيح. فكما فهم الخروج في ضوء الخلق، هكذا قدّم العهد الجديد المسيح في ضوء قصة الخلق.

عندما ندرس تعاليم العهد الجديد عن عمل المسيح بالفداء، علينا أن نتذكر أن الرسل أدركوا تماماً أن المسيح لم يفد العالم دفعة واحدة. بل أنه يأتي بالخلاص والدينونة للعالم في ثلاثة مراحل مرتبطة من ملكة.

ففي المرحلة الأولى، حقق المسيح الكثير لخلاص شعبه في مجيئه الأول الذي نستطيع أن نسميه تأسيس الملكوت. فيعلمنا العهد الجديد، أن حياة المسيح وموته وقيامته وصعوده، وأيضاً ما حدث في يوم الخمسين وفي خدمة الرسل التأسيسية، بداية لفداء المسيح العظيم.

أما عن المرحلة الثانية، فكُتَّاب العهد الجديد أقرّوا أن ملكوت المسيح يستمر الآن حتى بعد تركه العالم، أي الفترة التي تنتشر فيها نعمة الله في أنحاء الأرض من خلال الكرازة بالإنجيل. فتاريخ الكنيسة كله بعد الرسل وحتى المجيء الثاني للمسيح، يمثل استمرارية الخلاص في المسيح. وحسب تعليم العهد الجديد فإن المرحلة الثالثة التي فيها يصل الخلاص إلى ذروته تتمثل في استكمال الملكوت عند عودة المسيح بالمجد. عندئذ سنرى نصرته على الشر، والأموات في المسيح سيقومون

،وسنملك معه على العالم. فالخلاص الذي بدأ عند مجيئه الأول والذي يستمر ايضاً اليوم، سيكتمل عندما يعود في نهاية الدهر.

ولأن لهذه المراحل الثلاثة من ملكوت المسيح أهمية قصوى لاستيعاب مفهوم العهد الجديد للخلق، علينا أن نفحص كلاً منها على حدة. فكتاب العهد الجديد ربطوا قصة الخلق من سفر التكوين بتأسيس واستمرارية واستكمال خلاص المسيح وملكوته. دعونا نتأمل أولاً في الطرق التي يربط بها العهد الجديد الإصحاح الأول من التكوين بعملية تأسيس الملكوت.

التأسيس

كيف استخدم العهد الجديد الخلق كعدسة ينظر من خلالها لتأسيس ملكوت المسيح؟ في الواقع يتحدث العهد الجديد عدة مرات عن مجيء المسيح الأول كعمل الهي يعيد فيه الخلق، ويشكل من خلاله الكون من جديد. دعونا نفكر أولاً في افتتاحية إنجيل يوحنا. في يوحنا ١: ١-٣ نقرأ هذه الكلمات:

فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ. هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.

لاحظ أن يوحنا يبدأ كتابه بالكلمات "في البدء" التي هي الكلمات الأولى في تكوين ١: ١ "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ". فمن بداية إنجيله يضع يوحنا تفكير قرائه في إطار قصة الخلق الموجودة في سفر التكوين. ثم يقول إن المسيح هو الأقنوم الذي خلق كل الأشياء إذ هو كلمة الله الذي وُجد به كل شيء. وبالرغم من أن الآيات الأولى من إنجيل يوحنا تشير إلى قصة الخلق، نلاحظ أن الرسول حوّل انتباهنا من سفر التكوين إلى مجموعة أحداث أخرى توازي نص التكوين. دعونا نستمع إلى الكلمات التي كتبها يوحنا في (يوحنا ١: ٤-٥):

فِيهِ كَانَتْ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ. وَالنُّورُ يَضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ وَالظُّلْمَةُ لَمْ تَدْرِكْهُ.

هنا نرى أن يوحنا ما زال يستقي أفكاره من الإصحاح الأول من التكوين، لا سيما فكرة النور الذي أضاء به الله عالم الفوضى والظلام في اليوم الأول. لكنه لم يعلم أن المسيح هو هذا النور

فحسب بل أعلن أيضاً أن تجسد المسيح هو النور الذي يشع في الظلام الذي في العالم بالخطية. وبنقله من حقيقة الخلق لحقيقة مجيء المسيح، أعلن يوحنا أن الله بنور المسيح المضيء في وسط ظلام الخطية في العالم، قد تصدى لفوضى العالم كما فعل في البداية. نجد في (٢ كورنثوس ٤: ٥-٦) أفكاراً مشابهة حيث فسر الرسول بولس مجد خدمته بهذه الكلمات:

لأنَّ الله الَّذِي قَالَ: «أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ»، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لِإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللَّهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.

فإن الرسول بولس يشير هنا بطريقة مباشرة إلى تكوين ١ في كلماته "الله... قَالَ: «أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ»"، يذكر أولاً عملية تنظيم الخليقة الأصلية والتي شملت ظهور النور، ثم يلفت انتباهنا إلى التوازي الهام لقصة الخلق عندما أعلن أن الله اشرق في قلوبنا عندما ظهر مجد الله في وجه المسيح. فعلم الرسول هنا أن تأسيس ملكوت المسيح الذي تم بظهور وجهه على الأرض، يُفهم بصفة أدق عندما نربطه بنموذج عمل الله في الخلق الأصلي. فنفس المجد الذي أظهره الله في شروق التور في البداية أظهره أيضاً في مجيء المسيح إلى عالم الظلام.

نجد في هذين الآيتين عنصراً أساسياً في المفهوم المسيحي لقصة الخلق. فأتباع المسيح يرون في تكوين ١ صورة مسبقة لما صنعه الله في المجيء الأول للمسيح عندما أسس ملكوته.

كلنا نواجه إغراء مشابهة للذي واجهه بنو إسرائيل تحت قيادة موسى. فبالرغم من أن الله فعل عملاً عجباً عندما أرسل المسيح للعالم كما صنع لبني إسرائيل في الخروج من مصر، إلا أننا نتعثر في إدراك عظمة عمله في المسيح منذ ألفي عام. في فكر الإنسان المحدود قد تبدو وأنها ليست أحداثاً هامة مثلها مثل أي أحداث أخرى حدثت في تلك الأيام. إذا وجدنا أنفسنا ونحن نفكر بهذا الأسلوب علينا أن نتذكر منظور العهد الجديد. فظهور المسيح على الأرض كان في الواقع بداية عمل الله النهائي في إعادة تنظيم العالم وتخليصه من ظلام الفوضى الموجودة بسبب الخطية والموت. إن المجيء الأول للمسيح بداية العملية التي من خلالها يجعل الله لخليقته مكاناً جميلاً ينبض بالحياة الأبدية والمجد ليسكن فيها للأبد مع الإنسان الذي هو على صورته. لذلك فنحن على حق تام عندما نضع ثقنا الكاملة فيه وحده.

لقد رأينا أن العهد الجديد يستخدم قصة الخلق لشرح معنى المجيء الأول للمسيح. والآن سنرى أن العهد الجديد يعتبر أن استمرارية الملكوت أي الفترة بين المجيء الأول للمسيح ومجيئه الثاني هي أيضاً بمثابة إعادة للخلق.

الاستمرار

النص المعروف في ٢ كورنثوس ٥: ١٧ يوضح هذا المنظور:

إِذَا إِنَّ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا
الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا.

إن التعبير اليوناني "ktisis" ونستطيع أن نترجم هذا الجزء من الآية هكذا: "إن كان أحد في المسيح عندئذ توجد خليفة جديدة." فمفهوم الرسول بولس هو أن الناس عندما يأتون إلى المسيح بالإيمان يصبحون جزءاً من ملكوت جديد وعالم جديد وخليفة جديدة. من هذا المنطلق نرى أن الناس يختبرون الخليفة الجديدة أثناء استمرارية الملكوت عندما يؤمنون بالمسيح. ولذلك فقصة الخلق في سفر التكوين تساعدنا على الفهم الصحيح لما يحدث لكل إنسان عندما يسمع ويؤمن ويتبع المسيح: حينما نصبح جزءاً من خليفة الله الجديدة نستطيع أن نتمتع مبدئياً بعظمة نظام الله المثالي للعالم. لذلك لا نتعجب عندما يصف بولس الرسول عملية الخلاص بطريقة أخرى مستمدة من قصة الخلق، ففي كولوسي ٣: ٩-١٠ نقرأ هذه الكلمات:

إِذْ خَلَعْتُمْ الْإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَلَبِسْتُمْ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ
صُورَةِ خَالِقِهِ.

في هاتين الآيتين، يصف الرسول ما يحدث لأتباع المسيح مستخدماً أفكار سفر التكوين ١ إذ يقول إننا نتجدد حسب صورة الخالق. هذه إشارة لتكوين ١: ٢٧ حيث نرى أن عالم الله المثالي يشمل آدم وحواء اللذين خُلقا على صورة الله. في فترة استمرارية ملكوت المسيح نتجدد دائماً طوال حياتنا حتى نستعيد المكانة التي كانت من قبل لأبويننا اللذين كانا على صورة الله . إنه من خلال هذه الآيات، نرى أن العهد الجديد استخدم قصة الخلق كوسيلة لفهم عمل المسيح ليس فقط في تأسيس الملكوت، بل أيضاً في استمراريته. بالطبع فإن كُتَّاب العهد الجديد رأوا معاني أخرى في قصة الخلق. فلم تقتصر رؤيتهم فيها على أن المجيء الأول للمسيح هو بداية خليفة جديدة، ولا على استمرارية الملكوت كزمن يتمتع فيه

الناس بالخلقة الجديدة في حياتهم، بل رأوا فيها مواضيع متعلقة بالمرحلة النهائية من عمل المسيح أي مرحلة استكمال الملكوت.

الاكتمال

على الأقل نجد نصين في العهد الجديد يتناولان هذا المعنى. أولاً يشير الإصحاح الرابع من رسالة العبرانيين إلى عودة المسيح مستخدماً أفكار قصة الخلق، عبرانيين ٤: ٤

لأنَّهُ قَالَ فِي مَوْضِعٍ عَنِ السَّابِعِ هَكَذَا: «وَاسْتَرَّاحَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ».

وفي عبرانيين ٤ : ٩-١١

إِذَا بَقِيَتْ رَاحَةٌ لِشَعْبِ اللهِ! لِأَنَّ الَّذِي دَخَلَ رَاحَتَهُ اسْتَرَّاحَ هُوَ أَيْضًا مِنْ أَعْمَالِهِ، كَمَا اللهُ مِنْ أَعْمَالِهِ. فَلَنْجْتَهِدُ أَنْ نَدْخُلَ تِلْكَ الرَّاحَةَ، لِئَلَّا يَسْقُطَ أَحَدٌ فِي عِبْرَةِ الْعِصْيَانِ هَذِهِ عِنْدَهَا.

فكما استخدم موسى يوم راحة الله في تكوين ٢ لدفع شعبه إلى كنعان أرض الراحة، هكذا اعتبر كاتب الرسالة هذا اليوم كنموذج مثالي للفداء المطلق الذي سنختبره عندما يعود المسيح. وكما نظم الله العالم في البداية بطريقة مثالية وأتى بسعادة يوم الراحة، هكذا المسيح عندما يعود في المجد سيعيد تنظيم العالم ويعطي شعبه سعادة الراحة النهائية. فيحتمل الكاتب أن نجتهد أن ندخل تلك الراحة التي ستأتي عند مجيء المسيح. أخيراً نجد في سفر الرؤيا ٢١: ١ أحد أعظم النصوص التي تصف المجيء الثاني للمسيح في ضوء قصة الخلق. دعونا نستمع للطريقة التي ربط بها الرسول يوحنا أفكار الخلق بعودة المسيح:

ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لِأَنَّ السَّمَاءَ الْأُولَى وَالْأَرْضَ الْأُولَى مَضَتَا، وَالْبَحْرُ لَا يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ. (رؤيا ٢١ : ١)

إن يوحنا يذكر سماء جديدة وأرضاً جديدة راجعاً بذلك إلى كلمات تكوين ١: ١ عن خلق الله للسموات والأرض. بالإضافة لذلك كتب يوحنا أنه لا يوجد بعد بحر في ذلك العالم الجديد. تذكر أن

الله في تكوين ١: ٩ قيد البحر واضعاً إياه داخل حدوده لتظهر اليابسة وتكون مسكناً آمناً للجنس البشري. ففي العالم الجديد الذي سيكون بعد مجيء المسيح لن يكون مكان للبحار بل ستحل مكانها المياه العذبة المحيية. فعمل المسيح يشابه أيام الخلق المذكورة في التكوين الإصحاح الأول إلا أنه في المسيح سيكمل الله تحقيق العالم المثالي بخلق الكون كله كسماء جديدة وأرض جديدة فيه يتمتع الله وشعبه بالعالم الجديد.

إن بعض المؤمنين في تصورهم يفصلون رجائهم الأبدي عن حقيقة الخلق وهذا أمر مؤسف. فيظنون أنهم سيقضون الأبدية في عالم روحي سماوي. لكن العهد الجديد يعلم غير ذلك. إذ يعلم أن مصيرنا النهائي هو العودة إلى راحة يوم السبت المعينة في اليوم السابع من الخلق، وأننا سنتمتع بالحياة الأبدية في السماء الجديدة والأرض الجديدة. هذا هو رجاء جميع المؤمنين في كل العصور. فلقد علمنا العهد الجديد أن نرى في الإصحاح الأول من سفر التكوين ليس فقط سجلاً للأحداث الأولية. بل أيضاً نرى فيه صورة لما صنعه الله في المجيء الأول للمسيح ولما يصنعه الآن في حياتنا ولما سيصنعه في يوم استكمال الملكوت عند عودة المسيح. في مراحل ملكوت المسيح الثلاثة، يتصدى الله لفوضى الخطية والموت في العالم وفي حياتنا. يقود العالم في الطريق إلى النهاية المثالية من خلال تأسيس واستمرارية واستكمال الملكوت وستكون نتيجة هذه العملية خليفة جديدة وعجيبة صنعها لشعبه.

الخلاصة

في هذا الدرس رأينا أربعة أفكار رئيسية: الهدف العام لسفر التكوين إصحاح ١-١١، وثانياً بناء النص الموجود في تكوين ١: ١-٢: ٣، وثالثاً معنى هذا النص الأصلي، ورابعاً أسلوب العهد الجديد في ربط قصة الخلق بحياتنا اليوم. استنتاج هذا التوجه إلى سجل موسى عن الخلق لحياتنا اليومية هو عجيب على الأقل.

علينا كمؤمنين أن نستوعب كيف ينطبق قصد قصة الخلق التي كتبها موسى في التكوين على حياتنا في المسيح. فمن السهل أن نُحَبِّط ونحن نتبع المسيح في عالم الخطية مثل ما حدث لبني إسرائيل الذين كانوا أول من سمعوا افتتاحية سفر التكوين. فكما شجع النبي موسى قُرَاءَهُ على الثبات في الطريق المؤدي إلى عالم الله المثالي، علينا أن نتشجع أيضاً ونحن نسلك في طريق الله العجيب المؤدي إلى العالم المثالي في المسيح.